

تضحيات مصر من أجل القضية الفلسطينية

د. / عبد المنعم ابراهيم الجميى

أستاذ التاريخ الحديث – كلية الآداب بالفيوم

تؤكد صفحات التاريخ أن مصر كانت وما تزال درع الأمة العربية وسيفها، وما من مرة رفعت فيها رأسها إلا ورفعت المنطقة المحيطة بها رأسها عالياً، واحتلت مكانتها المرموقة على خريطة العالم، وما من مرة هبت فيها على مصر الزوابع وأحنت رأسها إلا واحنت المنطقة المحيطة بها رأسها وصارت نهبا لكل طامع.

لقد وقفت مصر بجانب القضية الفلسطينية منذ ان برزت الأطماع الصهيونية، وساندتها إنجلترا باصدار وعد بلفور ١٩١٧ فكان لها مواقف بارزة إزاء هذه القضية خلال مراحلها المختلفة ليس فقط للوزن التاريخى والسياسى والحضارى الذى تشغله مصر فى العالم العربى أو لقدرتها على التأثير داخل دائرتها العربية ودائرتها الافريقية، ودائرتها الاسلامية ولكن ايضا للتضحيات التى بذلتها، ومنها التضحية بأعلى ما تملك وهو دماء ابنائها الشرفاء الذين ضحوا بأرواحهم وهم فى زهرة شبابهم من أجل القضية الفلسطينية واسترداد الحقوق الوطنية للشعب الفلسطينى التى ظلت فى قلوب قطاعات عديدة من القوى الوطنية المصرية بكافة شرائحها، وشغلت أفكار الرأى العام المصرى خاصة وأن فلسطين تشكل خط الدفاع الاستراتيجى بالنسبة لمصر منذ معارك حطين (١١٨٧م) وعين جالوت (١٢٦٠م).

إن متابعة الموقف المصرى الحكومى والشعبى تجاه القضية الفلسطينية يحتم تتبع اهتمام مصر بهذه القضية منذ وعد بلفور وحتى الوقت الحالى فمصر قدمت للقضية الفلسطينية التى تعد جزءا لا يتجزأ من نسيج المجتمع المصرى الكثير خاصة وأن أمن فلسطين جزء لا يتجزأ من أمن مصر القومى فحاربت مصر من أجل ذلك فى أعوام ١٩٤٨، ١٩٥٦، ١٩٦٧ وما أعقبها من حروب استنزاف حتى تحقق لها النصر ومسحت عار الهزيمة بانتصارها فى أكتوبر ١٩٧٣، كما تمسكت مصر بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى، وبالأهداف الوطنية التى يقرها الفلسطينيون، فهى تمارس منذ بداية القضية التضامن مع الشعب الفلسطينى وممثليه الشرعيين، وترفض الوصاية عليه أو المزايدة على أى امكانية لحل مشكلته، وتطالب المزايدى بالقضية أن يرتفعوا إلى مستوى الأحداث، وأن يقفوا صفا واحدا وراء ما يريده الفلسطينيون حتى لا تضيق القضية وسط المتاهات، وحتى تتوقف الدماء التى تنزف من تقائل الفلسطينين بعضهم بعضا. ففلسطين فى قلب بشعب مصر وضميره ووجدانه، وعلى أصحاب المغالطات وذوى الحناجر العالية الذين يتكلمون ولا يعملون، ويرفضون أن يعمل الآخرون من أجل مصالح الأمة العربية العليا ان يعلموا أنهم لا يستطيعون

فرض واقع جديد يبعد مصر عن دورها العربي بخلطهم الأوراق، ومحاولة ترتيب أوضاع المنطقة لصالح قوى اقليمية معروفة.

ونتيجة لذلك فقد تم تقسيم هذه الدراسة إلى ثلاثة محاور أساسية:

المحور الأول: ويبرز مواقف القوى السياسية والرأى العام المصرى من هذه القضية منذ وعد بلفور فى نوفمبر ١٩١٧ وحتى قيام دولة اسرائيل على ارض فلسطين ١٩٤٨.

المحور الثانى: ويشمل ثورة يوليو والقضية الفلسطينية، والمواقف السياسية والعسكرية التى خاضتها من أجل هذه القضية.

المحور الثالث: ويتطرق إلى موقف مصر من مساندة القضية الفلسطينية منذ حرب اكتوبر إلى الوقت الحالى، والتزامها القوى لايجاد حل عادل لهذه القضية.

١- المحور الأول:

وبالنسبة للمحور الأول يتضح أن القضية الفلسطينية كانت بمثابة البداية السياسية والفكرية لاكتشاف مصر لعروبيتها فقد تلاقت كافة الاتجاهات حول ضرورة الاهتمام بالقضية الفلسطينية على الرغم من أن مصر فى ذلك الوقت كانت تعيش ملحمة صراع وطنى من أجل استقلالها فقد استاء المصريون استياء شديدا عند سماعهم بتصريح بلفور Balfour Declaration إذ رأوا فيه اعتداء على قطر عربى وسلبا لحقوق أهله، كما تم ارسال برقيات الاحتجاج على هذا التصريح^(١)، وعندما وقعت ثورة البراق (حائط المبكى) فى عام ١٩٢٩ وادعى اليهود أن هذا الحائط من آثار هيكلهم الزائل تحركت المشاعر الوطنية لدى الشعب المصرى ووقف بجانب أهل فلسطين فى دعواهم أن هذا الحائط من الآثار الاسلامية المقدسة^(٢)، كما كلفت الحكومة المصرية "محمد على علوبة باشا" (المحامى) للدفاع عن حقوق الفلسطينيين فى أحقية ملكيتهم لحائط البراق أمام لجنة التحقيق الدولية^(٣)، فسافر إلى القدس ومعه "احمد زكى" شيخ العروبة و"عبد الحميد سعيد" من أجل هذا الغرض. وإلى جانب ذلك عقد فى القاهرة مؤتمرا فى عام ١٩٣٠ تم فيه بحث الوسائل الكفيلة بحفظ أرض فلسطين لشعبها، كما شاركت مصر فى المؤتمرات التى عقدت فى فلسطين فى الثلاثينات لبحث تطورات القضية.

وبعد ان نشبت الثورة الفلسطينية عام ١٩٣٦ برئاسة "عز الدين القسام" بهدف الجهاد والدعوة إلى وقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين ومنع انتقال الأراضى إلى اليهود أعربت مصر عن

(١) محمود منسى: تصريح بلفور، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٧٠، ص ١٢٦.

(٢) عواطف عبد الرحمن: مصر وفلسطين، القاهرة، العربى للنشر والتوزيع ١٩٨٩، ص ١١.

(٣) السياسة الاسبوعية فى ١/١/١٩٢٧.

تضامنها حكومة وشعبا مع شعب فلسطين، كما أوضحت أنها لا تستطيع أن تقف مكتوفة الأيدي تجاه ما يجرى في فلسطين، وانها لا توافق على مشروع التقسيم ولم يقتصر الأمر على الرجال بل وقفت المرأة المصرية بجانب الثورة ونددت بالمظالم التي ترتكب ضد الفلسطينيين فكتبت "هدى شعراوي" رائدة الحركة النسائية في مصر تلوم الصمت الدولي ضد المجازر التي ترتكب في فلسطين. وإلى جانب ذلك قامت بعقد المؤتمر النسائي الشرقي بالقاهرة عام ١٩٣٨ لمساندة المرأة الفلسطينية في نضالها وأرسلت برقية إلى مؤتمر المائدة المستديرة بلندن عام ١٩٣٩ تطالبه الوقوف بجانب الحق الفلسطيني.

ونتيجة لاشتداد الضغوط الصهيونية وقيام الرئيس الأمريكي "ترومان" بتأييد هجرة اليهود إلى فلسطين، وفتح أبواب فلسطين لليهود النازحين من أوروبا، والسماح لمئة ألف منهم بالهجرة إليها قاد الشباب المصري المظاهرات في ٢ نوفمبر ١٩٤٥، وكان عنفها وشمولها تعبيراً عن موقف المصريين المؤيد للقضية الفلسطينية ومظهراً لالتحام قضية الشعب الفلسطيني بقضايا المصريين الأساسية.

كما تابع الرأي العام المصري جميع مراحل بحث القضية الفلسطينية داخل أروقة الأمم المتحدة، وكان لقرار التقسيم الذي صدر في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ صداه الحاد في الشارع المصري حيث شعر بالصدمة وبدأت الاضرابات والمظاهرات ومنذ ذلك الحين بدأ شعارات الكفاح المسلح تطرح على الساحة المصرية بشكل كبير^(١)، بهدف تمكين الشعب الفلسطيني بالدفاع عن نفسه.

وبعد أن أعلنت بريطانيا انتهاء انتدابها على فلسطين في ١٤ مايو ١٩٤٨ والاعلان بقيام دولة اسرائيل لم تجد مصر بدا من التدخل العسكري في فلسطين لانقاذ أهلها وعندما طلبت اسرائيل من مجلس الأمن التدخل لوقف الزحف المصري أجاب مندوب مصر "إن البيت الذي بجوارنا يحترق بسرعة ومن حق مصر والحالة هذه، بل ومن أقدس واجباتها أن تسرع لأطفاء هذه النار".^(٢) وقد دخلت مصر الحرب بحماس شديد، فدعت القوى الوطنية إلى الكفاح المسلح ضد الصهيونية وتالفت كتائب الجهاد، وتسلمت أفواج المتطوعين إلى سيناء وتشكل منهم ثلاث كتائب، وبادوا قتالهم الفعلي وقاموا بمهاجمة المستعمرات اليهودية، وأخذ تيار التطوع يزداد تدفقاً، وتشكلت كتيبة من المتطوعين بقيادة "القائمقام أحمد عبد العزيز" وأركان حربه "الصاغ كمال الدين حسين" وبعض الضباط الآخرين، واخذت فكرة التطوع يزداد انصارها بين ضباط الجيش من بينهم "اللواء محمد نجيب" الذي كان يرى ان الوسيلة المثلى للقتال في فلسطين هي حرب العصابات، ونجحت

(١) عواطف عبد الرحمن: مرجع سابق، ص ١١ - ١٢.

(٢) شاكر الدبس: الدول العربية في منظمة الأمم المتحدة، دمشق ١٩٤٨، ص ١٢٣.

مدفعية "احمد عبد العزيز" فى دك المستعمرات اليهودية جنوبى القدس، وتمكنت قواته من الاستيلاء على بئر السبع والقيام بتهديد المستعمرات الصهيونية، كما تعاون مع القوات العربية التى أرسلتها الجامعة العربية بتشجيع من أمينها العام عبد الرحمن عزام وقدم لها مساعدات كبيرة، واشترك فى تهديد مواصلات الصهاينة وتكبيدهم خسائر فادحة وأبدى شجاعة نادرة فى قيادة رجاله وازعاج العدو، وظل احمد عبد العزيز يقاتل حتى استشهد فى منطقة "عراق المنشية" قضاء وقدر حيث أطلقت على سيارته أعيرة نارية بطريق الخطأ.^(١)

كما قامت القوات المصرية بواجبها بحماس شديد، وواصلت أهدافها بنجاح فبعد ان اجتازت حدود فلسطين قامت بمحاصرة العديد من المستعمرات اليهودية واحتلت "العوجة" و "العسلوج" ودخلت مدينة "بئر السبع"، واستطاعت السيطرة على الطريق المؤدى إلى المستعمرات اليهودية الجنوبية، وقطع الطريقين الممتدين من الشمال إلى النقب، كما استطاعت الوصول إلى مشارف "تل أبيب"، وبدأت بلاغات الجيش المصرى العسكرية تتخذ لهجة الاقتراب من تحقيق النصر، وفجأة بدأت أخبار هذه الانتصارات تتباعد، وبدأت الضغوط الدولية تتزايد فاقتراح المندوب البريطانى إقامة هدنة فى فلسطين مدتها أربعة أسابيع يحظر خلالها تصدير السلاح لأى من المتقاتلين وقد وافق مجلس الأمن على ذلك وبدأت الهدنة بعد ان قبلها العرب واليهود. وخلال هذه الفترة تمكن اليهود من استجماع قواهم، بعد وصول الأسلحة والمعدات لهم رغم الحظر الذى فرضه مجلس الأمن، على حين التزم العرب بشروط الهدنة، كما قام اليهود بسلسلة من الاعتداءات الغادرة التى مكنتهم من الإمساك بزمام الأمور. وبعد أن استؤنفت الحرب حقق الصهاينة انتصارات متوالية حتى تمت النكبة خاصة بعد أن فوجئت مصر بانسحاب القوات الأردنية من "اللد والرملة" واستيلاء الصهاينة عليها مما أدى إلى انكشاف ميمنة الجيش المصرى وانفراد اليهود بمواجهته وانسحابه من المواقف التى كان يحتلها وفى مقدمتها بئر السبع والنقب ومحاصرته فى "الفالوجا" وانهايار الجبهة المصرية وتمزقها إلى جيوب منعزلة. ومع ذلك استطاعت القوات المصرية بصمود وبطولة على مدى أربعة أشهر عصبية أن ترد الاعتبار فرفضت كل عروض التسليم واستمرت فى الصمود، وأصبح جيب الفالوجا شوكة فى جبين الاسرائيليين وتحديا لهم ، وبعد ان نفذت الذخائر والأغذية لدى القوات المحاصرة، تمكنت من اختراق الحصار عبر منافذ وطرق صحراوية وانتهى الأمر

(١) وزارة الحربية، مكتب المشير، محفظة رقم ٨ دولاب ١٠ مجموعة ١ - ٢٦/س ج/ ٣٢ ج-١ وثيقة بعنوان "مصرع المرحوم البكباشى احمد عبد العزيز بتاريخ ٢٦/٨/١٩٤٨.

بعقد هدنة "رودس" بين مصر واسرائيل فى ٢٤ فبراير ١٩٤٩^(١) وتمكن اليهود من وضع أيديهم على فلسطين عدا منطقتين هما:

- ١- منطقة غزة وقد تمركزت فيها القوات المصرية.
 - ٢- منطقة غرب الأردن التى انضمت فيما بعد إلى إمارة شرق الأردن.
 - ٣- القدس وقد اقتسمت بين الأردن وإسرائيل.
- وهكذا هزت حرب فلسطين الشعوب العربية كلها وتبين لها العديد من مواقع القصور فى مواجهة الموقف، وفى عدم معرفة قدرات العدو العسكرية.

وإذا كانت النكبة قد تجسدت فى عام ١٩٤٨ بقيام دولة اسرائيل وتشتيت شمل الشعب الفلسطينى فان التمزق العربى والصراعات الخفية والظاهرة بين الزعامات العربية كانت ظلالة لهذه النكبة فبينما كانت اسرائيل تثبت أقدامها فى فلسطين، كان العرب يتنافسون فيما بينهم. وخلال ذلك رأت الحكومة المصرية تكوين حكومة فلسطينية تمثل الشعب الفلسطينى وتتنطق باسمه وتشمل غزة والضفة الغربية، على أن يكون مقرها غزة وتسمى حكومة عموم فلسطين، وقد هدفت مصر من ذلك إلى ايجاد تشكيل سياسى يقف امام اسرائيل، ويكون رمزا لكفاح بقايا هذا الشعب لانقاذ ما تبقى من فلسطين من أطماع اليهود، وعلى الرغم من مبادرة الجامعة العربية بالاعتراف بهذه الحكومة لتمثيل عرب فلسطين واعلانها أسماء الوزراء الفلسطينيين^(٢)، الذين سيتولون مصالح ما اسمته بالادارة المدنية فان "الملك عبد الله" ملك الأردن استشاط غضبا، ورأى فى اعلان هذه الحكومة تحديا ظاهرا له على اعتبار أنها نشأت فى قطاع غزة الواقع تحت تأثير الحكم المصرى. ونتيجة لذلك رفض الاعتراف بامتداد سلطة هذه الحكومة من غزة إلى المناطق الفلسطينية الأخرى وعين حاكما من قبله على الضفة الغربية، كما رفض الاعتراف بوزرائها، ومن هذا المنطلق أرسل إلى "محمود فهمى النقراشى" رئيس وزراء مصر خطابا أوضح فيه رفض بلاده لحكومة عموم فلسطين وقد حاولت اللجنة السياسية فى الجامعة العربية إقناع الملك بالاعتراف بحكومة فلسطين، ولكنه أصر على موقفه وأخذ جو التوتر والمشادات يتسع مداه داخل أروقه الجامعة، ولم يكتف "الملك عبد الله" بذلك بل شجع على عقد مؤتمر فلسطينى فى عمان فى أكتوبر ١٩٤٨ هاجم فيه

(١) احمد عزت عبد الكريم : دراسات فى تاريخ العرب، بيروت، النهضة العربية، ١٩٧٠، ص ٤٧١.

(٢) شكلت هذه الحكومة من احمد حلمى عبد الباقي رئيسا، وجمال الحسينى ورجائى الحسينى وعونى عبد الهادى، واکرم زعيتير، والدكتور حسين الخالدى، وعلى حسنة وميشل ايكاريوس ، ويوسف صهيون، وأمين عقل أعضاء.

أنظر: محمد غزة دروزه: حول الحركة العربية الحديثة، ج٥، ص١، ص ٩١.

المجتمعون حكومة غزة، وطالبوا "الملك عبد الله" أن يشمل عرب فلسطين بحمايته، ونتيجة لذلك استمر "الملك عبد الله" في تحديه لحكومة غزة، وطالب بحلها، كما شجع "الملك عبد الله" على عقد اجتماع بمدينة "أريحا" في أول ديسمبر ١٩٤٨ حضره العديد من زعماء فلسطين، وفيه قرر المجتمعون مبايعه "الملك عبد الله" ملكا على فلسطين. ونتيجة لذلك تعرض الأردن لانتقادات عنيفة من مصر، واتهم بالتفريط في فلسطين وعروبتها كما ارسل "الملك فاروق" رسائل شفوية إلى ملوك الدول العربية ورؤسائها بشأن ما حدث أوضح فيها اعتراضه على ما جرى خاصة وأن أهل فلسطين أصحاب القرار في بلادهم ليسوا في الوضع أو الظروف التي تسمح لهم بإبداء رأى صادر عن حرية اختيار.^(١)

كما استنكر مبايعة "الملك عبد الله" ملكا على فلسطين موضحا أن مصر لم تضح بدماء أبنائها ليلقى بمستقبل فلسطين في أيدي الأجورين المجتمعين في "أريحا"، وتبع ذلك سيل من البيانات والبرقيات شديدة اللهجة في هيئات مصر وشخصياتها وصحافتها ضد "مؤتمر أريحا" وتشجيع الأردن لعقده ، ووصف "محمود فهمي النقراشي" رئيس وزراء مصر ما حدث في "أريحا" بأنه مخالف للمنطق، وان الحكومة المصرية ستظل عند قرارها الخاص بالاعتراف بحكومة عموم فلسطين، وان المصريين سيبقون دائما إلى جانب هذه الحكومة، وأن للشعب الفلسطيني أن يقرر مصيره بنفسه^(٢)، وأصدر مجلس العلماء في الجامع الأزهر بيانا وجهه إلى ملوك المسلمين وشعوبهم ندد فيه بما أقدم عليه "الملك عبد الله" وحذر من عواقب تفتيت الوحدة العربية والتمهيد للقضاء على عرب فلسطين وعن موقف الصحف المصرية فقد نددت "الأهرام" بما حدث في "أريحا" وذكرت أنه ليس من الملائم ان تنفرد أى دولة عربية بعمل سياسى يتعلق بمصير فلسطين، وهاجمت جريدة "المصرى" ما اقدمت عليه حكومة شرق الأردن، وطالبتها بالتريث فى الاقدام على هذه الخطوة، والتعاون مع الحكومات العربية فى استخلاص ما تبقى من فلسطين.

وإلى جانب ذلك فقد عارضت جامعة الدول العربية ما أقدم عليه "الملك عبد الله" وطالبت بضرورة احترام قراراتها بشأن فلسطين كما دعا اللاجئين الفلسطينيون فى القاهرة إلى اجتماع استنكروا فيه قرارات "أريحا" وطالبوا بحق سكان فلسطين فى تقرير مصيرهم .

(١) الأهرام فى ١٢ ديسمبر ١٩٤٨ تحت عنوان "مصر وقرارات أريحا".

(٢) الأهرام فى ١٤ ديسمبر ١٩٤٨ تحت عنوان حديث محمود فهمي النقراشي عن مؤتمر أريحا.

ونتيجة لاصرار "الملك عبد الله" على موقفه تزعمت مصر حركة معادية لسياسته، كما تقدمت باقتراح إلى مجلس الجامعة العربية يقضى بفصل الأردن من الجامعة على اعتبار ان ضمها للصفة العربية يعتبر عملا توسيعا.⁽¹⁾

وقد اختلف موقف دول الجامعة في مساندة رغبة مصر في اخراج الأردن من الجامعة فقد ساندتها في ذلك كل من سوريا ولبنان والسعودية في حين أحجمت كل من العراق واليمن عن تأييد الموقف المصرى. ولما كان قانون الجامعة يقضى بعدم فصل أحد الأعضاء إلا باجماع الأصوات فقد تعثر موقف خروج الأردن من الجامعة كما ظهرت نذر انسحاب مصر من الجامعة. وبعد مشاورات واتصالات ووساطات جرت بين الحكومات العربية تم الاتفاق على عدم فصل الأردن من الجامعة إبقاء على وحدة الصف العربى على أن تؤخذ العهود والمواثيق على "الملك عبد الله" بأن ضمه شرق فلسطين إلى الأردن لن يؤثر على التسوية النهائية لفلسطين.⁽²⁾

وهكذا كشفت المأساة الفلسطينية تخبط الموقف العربى فبالرغم من قسوة المحنة ومرارة المأساة فان شعب فلسطين لم يسلم من المهاترات بين الحكام العرب مما أدخل القضية الفلسطينية فى غمار الصراعات بين الدول العربية بعضها البعض واصبح عرب فلسطين هم ضحايا الكارثة بكل مراراتها وآلامها.

حقيقة لقد دخل العرب جميعا المعركة وهم يؤمنون أن الحق كله بجانبهم، ولكنهم لم يعدوا أنفسهم الاعداد الكافى لدخول المعركة ، بل كانت معالجتهم للقضية غاية فى الاهمال والهزال ، وكانت اجتماعاتهم تعقد لمجرد الكلام والخطب الضخمة الجوفاء إلا من التهديد والوعيد بالقاء اليهود فى البحر، وشرب القهوة العربية على شاطئ تل أبيب بعد النصر المبين، كما أن بعض الحكام العرب استغل القضية فى تقوية مركزه أو تدعيما لمنصبه ، يضاف إلى ذلك اختلاف سياسات بعض الدول العربية أثناء المعركة فلم يقاتلوا صفا واحدا بل لعبت الأهواء السياسية والشخصية بهم فأضاعوا القضية⁽³⁾، وإلى جانب ذلك فانه من سوء حظ الفلسطينيين أن المهرجين والغوغاء والمتطرفين لعبوا دورا كبيرا فى عدم النظر إلى الأمور بما تستحق من أهمية وتعقل بل بلغ بهم

(1) المصرى فى ١٥ مايو ١٩٥٠.

(2) المصرى فى ١٤ يونيو ١٩٥٠.

(3) مكتب الهيئة العليا فلسطين : حقائق عن قضية فلسطين صرح بها سماحة المفتى محمد أمين الحسينى مفتى فلسطين ورئيس الهيئة العربية العليا ، القاهرة ، ص ١٧٠ - ١٧٢.

الأمر أن اخذوا يلصقون تهمة الخيانة بكل من يحاول وقف النزيف ، وهذا ليس بعجيب فى أمة اختلطت عليها المفاهيم^(١).

٢- المحور الثانى:

وبالنسبة للمحور الثانى والخاص بثورة يوليو والقضية الفلسطينية فمن المعروف ان بروز الخطر الصهيونى المتمثل فى وجود دولة اسرائيل على حافة سيناء جعل قادة يوليو منذ اللحظة الأولى يدركون هذا الخطر، ويحاولون الاستعداد لمواجهة من طريق تزويد الجيش المصرى بالسلح خاصة بعد الاعتداء الاسرائيلى على غزة الذى راح ضحيته عدد كبير من المدنيين والعسكريين ثم توالى الأحداث التاريخية التى أبرزت وجه مصر العربى وفى مقدمة هذه الأحداث حرب العدوان الثلاثى على مصر والذى ثبت من خلاله انها لم تكن منفصلة عن حرب ١٩٤٨ وهى ايضا شديدة التواصل مع حرب ١٩٦٧ وموصولة بحرب ١٩٧٣ فهذه الحروب فى حقيقة الأمر تعد واحدة، وهدفها الصراع على الشرق الأوسط وغرس اسرائيل فى المنطقة العربية وان كانت حرب السويس تعد بداية الصدام بين مشروع التحرر العربى والاستقلال الوطنى الذى قادته ثورة يوليو والمشروع الصهيونى الذى تجسد بقيام اسرائيل فى عام ١٩٤٨ على إشلء الفلسطينيين والوصول إلى حدود أمنة تضمن لها البقاء فى المحيط الاقليمى، وذلك عن طريق توسيع العازل الصحراوى بين مصر واسرائيل أى أن تكون شبه جزيرة سيناء منزوعة السلاح، ووضع مصر داخل حدودها بما يؤمن مصالح اسرائيل ومصالح الدول الكبرى، وحرمان مصر من مزاياها الاستراتيجية^(٢).

وكنتيجة مباشرة لما حدث فى فلسطين عام ١٩٤٨ كان من أهداف ثورة يوليو إقامة جيش وطنى قوى وتسليحه تسليحا حديثا، والتجاء مصر إلى طلب السلاح من الكتلة الشرقية بعد رفض الولايات المتحدة إمداد مصر بالسلاح إلا بعد تسوية عامة للشرق الأوسط والصلح مع اسرائيل ، مما جعل اسرائيل تفكر فى ضربة وقائية ضد مصر وتعمل على اسقاط عبد الناصر، وكانت لبن جوريون أهداف استراتيجية فى ضرب مصر عن طريق التحالف مع انجلترا وفرنسا لذلك انتهزت اسرائيل فرصة تأميم جمال عبد الناصر لقناة السويس ولجوء هاتين الدولتين إلى طلب الاستعانة باسرائيل للقيام بعملية عسكرية ضد مصر لاستعادة القناة بالقوة، وذلك بأن تقوم القوات الاسرائيلية

(١) منيب الماضى وسليمان موسى: تاريخ الأردن فى القرن العشرين، عمان، الطبعة الأولى، ١٩٥٩، ص ٤٧١.

(٢) الفت الخشاب : الأطماع الصهيونية فى شبه جزيرة سيناء، دراسة ضمن كتاب خمسون عاما على العدوان الثلاثى على مصر، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٧، ص ١٩.

بشن هجوم واسع النطاق على القوات المصرية فى سيناء أمام نقطة "الكونتلا" فى التاسع والعشرين من اكتوبر ١٩٥٦ بهدف قطع مواصلات الجيش المصرى والوصول إلى منطقة قناة السويس وبعدها توجه الحكومتان البريطانية والفرنسية نداء بالتوازي إلى الحكومتين المصرية والاسرائيلية يتضمن وقف جميع الأعمال الحربية ، وسحب القوات المسلحة من الطرفين إلى مسافة عشرة أميال بعيدا عن القناة وقيام القوات الانجلو فرنسية باحتلال مواقع رئيسية فى كل من بورسعيد والاسماعيلية والسويس بحجة ضمان حرية المرور بها والقيام بالفصل بين المتحاربين حتى يتم الوصول إلى ترتيبات نهائية وإذا لم تستجيب القوات المتحاربة لهذا النداء خلال اثنتا عشر ساعة فان القوات البريطانية الفرنسية سوف تستخدم القوة اللازمة لتنفيذ شروط الانذار. (١)

والمفحص لشروط الانذار يتضح له أن التحرك الاسرائيلي والانذار كان خيوطا مشتركة فى نسيج واحد هدفه طعن مصر من الخلف فليس من المنطقى أن تسحب مصر قواتها إلى مسافة عشرة أميال غرب القناة ، وتوقف الأعمال الحربية لصد القوات الاسرائيلية الغازية لأراضيها ، ثم تكافئ اسرائيل باحتلال سيناء بل المنطق العادل كان يحتم إنذار اسرائيل بالعودة إلى ما وراء الحدود. (٢)

وخلال ذلك كثفت مصر جهودها السياسية لكشف وفضح حقيقة العدوان ونواياه حتى صدر قرار مجلس الأمن بانسحاب المعتدين أما اسرائيل فقد اعلنت على لسان "ديفيد بن جوريون" ما يكشف عن حقيقة أطماعها التوسعية ، حيث ذكر أن اتفاقية الهدنة مع مصر عام ١٩٤٩ قد انتهت، وان الحدود الدولية بين مصر واسرائيل اصبحت لاغية، وان السيادة المصرية على شبه جزيرة سيناء قد سقطت ، واعلن ضمها لاسرائيل واعتبارها جزءا لا يتجزأ منها . ولكن أمام الاصرار الأمريكى على انسحاب اسرائيل من جميع الأراضى المصرية ، وامام الانذار الروسى الذى هدد بتسوية اسرائيل بالأرض تراجع الصلف الاسرائيلي ، وقامت اسرائيل بالانسحاب من سيناء. (٣)

وهكذا دخلت اسرائيل المعركة لاستدراج الجيش المصرى داخل أعماق سيناء لقلب اتزانه الاستراتيجى ، ويجاد حالة فراغ تجعل احتلال منطقة القناة سهلة امام القوات الانجليزية والفرنسية. (٤)

(١) وزارة الدفاع : حرب العدوان الثلاثى على مصر ، ج ١ ، القاهرة، هيئة البحوث العسكرية ، ص ٦٢.

(٢) عبد المنعم الجميى : مصر فى التاريخ الحديث والمعاصر ، القاهرة، ١٩٩٢ ، ص ٢٩٢.

(٣) الفت الخشاب : مرجع سابق، ص ٣٥.

(٤) عبد المنعم الجميى : عواقب العدوان الثلاثى على مصر ، دراسة ضمن كتاب العدوان الثلاثى على مصر، اعمال ندوة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، ص ٢٨٩.

وكانت الجائزة التي حصلت عليها اسرائيل من المعتدين هي انها ابتزت فرنسا لتساعدها في إنشاء مفاعلها النووي، كما أنها حققت بعض المكاسب من هذا العدوان كان أهمها فتح خليج العقبة امام الملاحة الاسرائيلية مما جعل لها مخرجا على البحر الأحمر بالاضافة إلى مرابطة قوات طوارئ دولية على الجانب المصرى من الحدود تمنع ممارسة العمل الفدائى ضد الوجود الصهيونى من الأراضي المصرية.

أما بالنسبة لمصر فقد كانت معركة السويس بؤرة تركيز تجمعت فيها معظم أمانى مصر فى الاستقلال الوطنى، فارتفع رصيدها بين دول العالم ، واكتشف الشعب المصرى طاقاته وتحرر من سيطرة راس المال الأجنبى . وعلى أى حال فان المعارك ضد الاستعمار والصهيونية لم تتوقف بعد حرب السويس، وان تغيرت أساليبها فجاءت حرب ١٩٦٧ واعقبها حرب تحرير سيناء فى اكتوبر ١٩٧٣، وما زلنا نشعر بالخطر الصهيونى خاصة وأن حركة التاريخ لا تنقطع ، ولم تتوقف ولا تعرف الفجوات فى مسارها. (١)

وبعد العدوان الثلاثى اقتضت المشكلة الفلسطينية والصراع العربى الاسرائيلى لفترة على استخدام اساليب الحرب الباردة وأخذت القرارات والتوصيات تتوالى عاما بعد آخر أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة تدعو الطرفين إلى تسوية سلمية بينهما وإلى ايجاد حل ملائم لمصير اللاجئين الفلسطينيين، واخذت اسرائيل تركز على الحصول على أحدث الأسلحة والمعدات اللازمة لجولة قادمة ، كما عملت على تدويل قطاع غزة ووضعها تحت إدارة الأمم المتحدة، ولكن الحكومة المصرية اعترضت على غزة ، وأعلنت أن غزة ليست خاضعة للوصاية حيث توضع تحت إدارة الأمم المتحدة، وان الحكومة المصرية تدير شؤونها حتى تتم التسوية النهائية بشأن فلسطين.

وفى أعقاب العدوان انتهجت مصر سياسة الحياد، ورفضت فكرة الدخول فى الاحلاف واقنعت العديد من الدول العربية بالسير على منوالها ، ورفض عبد الناصر فكرة وجود فراغ فى الشرق الأوسط ، وعمل على توقيع اتفاقية التضامن العربى فى يناير ١٩٥٧، وامتدت زروة المد القومى العربى فشهدت تلك الفترة قيام الوحدة بين مصر وسورية فى فبراير ١٩٥٨ ثم قيام ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨ فى العراق مما ساعد على وضع اسرائيل بين فكى كماشة. وخلال ذلك بدأت اسرائيل فى تنفيذ مشاريع تحويل مجرى نهر الأردن ، ونقل مياهه إلى صحراء النقب مما دفع عبد الناصر إلى عقد مؤتمر قمه عربى فى القاهرة فى يناير ١٩٦٤ وبالتالي اخذ الصراع العربى الاسرائيلى فى التصاعد خاصة بعد ان لعب عبد الناصر دورا حاسما فى ظهور اول كيان تنظيمى معاصر للشعب الفلسطينى مجسدا فى منظمة التحرير الفلسطينية والتي كان ظهورها بمثابة أحياء

(١) عبد المنعم الجميعة : مرجع سابق، ص ٢٩٢.

للكيان السياسى الفلسطينى الذى عصفت به نكبة ١٩٤٨ وبداية مرحلة الكفاح الفلسطينى المسلح المستقل عن الأنظمة العربية^(١)، من أجل المحافظة على قضية فلسطين وحيويتها على الصعيد الدولى أولا ومن أجل التحرير ثانيا ، وفض مشاريع التوطين واسقاطها والتمسك بحق العودة ثالثا. وكانت وزارة الخارجية المصرية قد أوصت باعادة تنظيم الشعب الفلسطينى وإبراز كيانه على الصعيدين القومى والدولى ، كما أوصت بإنشاء جيش فلسطينى فى الدول العربية، وتعيين ممثل لفلسطين فى الجامعة العربية وخلال ذلك تم اختيار احمد الشقيرى لهذا المنصب.

وقد قدمت السلطات المصرية لمنظمة التحرير منذ نشأتها العديد من التسهيلات وبرزها وسائل الاعلام المصرية التى ساعدت على اخراج الكيان الفلسطينى إلى النور، كما استثمر عبد الناصر رصيده الشعبى على المستوى العربى فى الضغط على بعض الدول العربية التى كانت تعارض قيام منظمة التحرير، ونجح فى اقناعهم بالموافقة على ما كان يخطط له بالنسبة للقضية الفلسطينية . وقد اعلنت مصر بقيادة عبد الناصر تأييدها الكامل وغير المشروط لمنظمة التحرير الفلسطينية قلبا وقالبا معتبرة أن المنظمة وجيش التحرير الفلسطينى جزء لا يتجزأ من العمل العربى المشترك لخوض المعركة المصرية الشاملة ضد اسرائيل.^(٢)

وعلى الرغم من كل ذلك فقد كانت الفجوة واسعة بين الجيوش العربية والجيش الاسرائيلى الذى كان يطبق مبادئ الحرب الحديثة، كما كانت الخلافات بين القادة العرب على أشدها، وكان الجيش المصرى مشغولا فى حرب اليمن التى استنزفت معظم قدراته، وخلال ذلك هددت اسرائيل بغزو سورية بحجة تسرب حركات المقاومة ضدها من الحدود السورية ، وطبقا لاتفاقية الدفاع المشترك هبت مصر لمساندة سورية ضد الحشود الاسرائيلية على حدودها، وبدأت القوات المصرية تتجمع فى سيناء استعدادا لخوض المعركة ضد إسرائيل إذا تعرضت سورية لأى عدوان، كما طلبت مصر سحب قوات الطوارئ الدولية الموجودة فى سيناء وانهاء وجودها على الأراضى المصرية ولم يتوقف تصعيد الموقف عند هذا الحد بل اعلنت الحكومة المصرية فى الثالث والعشرين من مايو ١٩٦٧ اغلاق خليج العقبة فى وجه الملاحه الاسرائيلية، وحظر مرور البضائع الاستراتيجية إلى اسرائيل.

ونتيجة لذلك تحول الصراع مع اسرائيل من قضية تهديد لسوريا وحشد القوات المصرية فى سيناء إلى قضية اغلاق أحد الممرات البحرية فى وجه الملاحه الاسرائيلية، واتخذ هذا النبأ مكان

(١) عبد القادر ياسين : اربعون عاما من حياة منظمة التحرير الفلسطينية دار التقدم العربى، ٢٠٠٦، ص ٣٣ وما بعدها.

(٢) عواطف عبد الرحمن : مرجع سابق، ص ص ٢٨٨ - ٢٨٩.

الصدارة فى صحف العالم مقترنا بحملة اعلامية ضد مصر، وهيا لاسرائيل الأسباب والمبررات التى استندت إليها فى اتخاذ قرار الحرب وقد ردت مصر على ذلك بأنها على استعداد للحرب ومواجهة اسرائيل كما بدأت أجهزة الاعلام المصرية تشن طبول الحرب، وفى ضربة مباغتة قامت القوات الجوية الاسرائيلية بغارات مكثفة على المطارات المصرية فى الخامس من يونيو ١٩٦٧ نجحت خلالها فى تدمير معظم الطائرات المصرية وهى جاثمة على الأرض، وفى أعقاب ذلك اصيبت جبهات القتال فى سيناء بانهيار شامل وانسحب الجيش المصرى فى سيناء انسحابا باهظ الثمن، وعلى الجبهات العربية تمكنت القوات الاسرائيلية من الاستيلاء على هضبة الجولان السورية، والسيطرة على مدينة القدس العربية، والضفة الغربية لنهر الأردن.^(١)

وبعد أن عقد مجلس الأمن دورة استثنائية عاجلة تم بحث الموقف وصدر القرار ٢٤٢ الذى يطالب بالوقف الفورى لاطلاق النار وهكذا تسببت حرب يونيو ١٩٦٧ فى مهانة للأمم العربية لا تزال تتجرع من كاسها. وبالرغم من مشاعر الألم التى انتابت الشعب المصرى، والفترة حالكة السواد التى عاشتها مصر فى أعقاب الحرب فقد فشلت كل محاولات الاحباط فى التسرب إلى نفوس المصريين، فرفض الانسان المصرى الهزيمة واصر على الصمود والنضال من أجل استرداد الحق المسلوب واعادة الكرامة التى أهدرت، وكانت مشاعر الألم التى انتابته بمثابة الوقود الذى دفعه للعمل من اجل محو العار الذى ألم بالأمّة، فدخل إلى القوات المسلحة ما يزيد عن مليونى شاب دربوا على السلاح وصهرتهم التدريبات الشاقة واثقين ان ما اخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة وإلى جانب ذلك فقد قدمت مصر للمقاومة الفلسطينية تأييدا ودعمًا كبيرين تمثل فى تسليح المقاومة وتزويدها بالخبراء فى حرب العصابات.

ونتيجة للتعنّت الاسرائيلى ورغبته فى فرض الأمر الواقع بكل ما يحمله من احجاف تحطمت شتى جهود التسوية السلمية مما جعل مصر تقوم بشن حرب استنزاف مع اسرائيل فى الفترة ما بين سبتمبر ١٩٦٨ ويوليو ١٩٧٠.

وبعد وفاة الرئيس عبد الناصر وتولى أنور السادات رئاسة الجمهورية بدأ التفكير فى تحريك القضية سلميا فاعلن الرئيس السادات فى الرابع من فبراير ١٩٧١ انه على استعداد لفتح قناة السويس للملاحة العالمية مقابل انسحاب جزئى للقوات الاسرائيلية تبدأ مصر خلالها فى تطهير القناة وإعادتها للملاحة^(٢)، ولكن اسرائيل تمسكت باحتلالها للأراضى المحتلة. وفى حين استمرت مصر فى جهودها لتحقيق سلام عادل فى المنطقة عن طريق تحمل المجتمع الدولى لمسئوليّاته عازمت

(١) الجيمعى : مرجع سابق، ص ٣٠٥.

(٢) أنور السادات : البحث عن الذات، القاهرة، المكتب المصرى الحديث، ١٩٨٠، ص ٢٣٢.

إسرائيل على فرض سياسة الأمر الواقع مما جعل القيادة المصرية تتقن صحة المبدأ القائل "ما اخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة".

٣- المحور الثالث:

أما عن المحور الثالث من الدراسة والذي يتطرق إلى موقف مصر من مساندة القضية الفلسطينية منذ حرب أكتوبر إلى الوقت الحالى والتزامها القومى لايجاد حل عادل للقضية نذكر أنه بعد فشل كافة الجهود الداعية للسلام اتضح أن جمود الموقف لا يكسره إلا استخدام السلاح لتحرير الأراضى المحتلة وتحقيق السلام العادل المنشود. ومن أجل ذلك أعدت مصر خططها المنشودة للحرب ، فاستمرت القوات المسلحة فى تدريباتها الشاقة العنيفة فى ظروف بالغة الصعوبة والتعقيد خاصة وأن اسرائيل كانت تمارس كافة ضغوط الارهاب النفسى، وتحاول التشكيك فى قدرات مصر وامكانياتها لدفعها إلى التخلّى عن واجبها الوطنى، وإلى جانب ذلك كانت القوات الاسرائيلية لاتزال تتمتع بميزة التفوق الجوى وتتزود بأحدث الأسلحة الخاصة بالحرب الالكترونية يضاف إلى ذلك وجود "خط بارليف" والساتر الترابى . وعلى الرغم من كل ذلك فقد اقتنع أفراد القوات المسلحة بأن القتال ضرورة حتمية لاسترداد الحقوق المغتصبة واسترجاع الأرض المحتلة ، ومحو عار الهزيمة . وإلى جانب ذلك بدأت القيادة المصرية فى إعداد الجبهة الداخلية لتقبل التضحيات وحماية الخطوط الخلفية للقوات المسلحة ، وحتى يمكن تهيئة الراى العام العالمى قامت القيادة السياسية بتكثيف جهودها لتوضيح التعنت الاسرائيلى ورفضه لكل المحاولات السلمية.^(١)

وبعد أن تكاملت صورة الموقف، وبذلت كافة الجهود السياسية والعسكرية بدأت القيادة المصرية بالاشتراك مع القيادة السورية فى إعداد خطط الهجوم لتحرير الأرض فى اطار السرية التامة، وقد صاحب ذلك العمل خداع استراتيجى وتعبوى شاركت فيه كافة الجهات صاحبة الاختصاص ، وفى اعقاب ذلك تم دراسة عملية اختيار التوقيت المناسب لتحديد ساعة الصفر بالنسبة للجبهتين المصرية والسورية معا وتم اختيار "يوم كيبور" أى يوم الغفران أو التفكير عند اليهود وكان يوافق السادس من أكتوبر موعدا لعبور القناة وتحرير الأرض العربية، ويرجع اختيار هذا اليوم بالذات إلى انه اليوم الذى تصاب فيه الحياة فى اسرائيل بشلل شبه تام ، كما أنه فى نفس الوقت يوافق العاشر من رمضان ذلك الشهر صاحب التأثير المعنوى القوى على المسلمين فضلا عما يمكن تحقيقه من مفاجأة حيث يصوم فيه المسلمون ولا يتوقع العدو فيه قيام القوات المصرية

(١) عبد المنعم الجميى : مصر فى التاريخ الحديث والمعاصر، ص ٣١٠.

بالهجوم عليه، وزيادة فى خداع العدو حتى تكتمل المفاجأة أختير قلب النهار وفى وضحه بداية للعبور وليس كما هو متبع فى الحروب أول ضوء فى الشروق أو آخر ضوء فى الغروب فتحدت الساعة الثانية وخمس دقائق بعد الظهر كساعة للصفر حيث انطلقت الشرارة ، وبدأت "خطة بدر" حسب تعبير العسكريين^(١)، وكانت المفاجأة للعدو فى الجو والبر والبحر فقامت مائتا طائرة على ارتفاع منخفض جدا بالضربة الأولى على جميع مواقع ومطارات العدو المؤثرة فى سيناء ، ومائة طائرة بالضربة الأولى على الجبهة السورية ، وقامت المدفعية تهدر بطلقاتها المتلاحقة على امتداد الجبهة للتمهيد للعبور، ثم بدأ الهجوم الأول بنزول اطقم اقتناص الدبابات إلى الماء وصرخة الايمان المدوية "الله أكبر" تهز الأجواء ثم أخذت باقى القوات المصرية تنزل إلى قوارب المطاط وتعبّر سيناء تحت ساتر من النيران. ولم تنجح مقاومة العدو من نقاطها الحصينة بخط بارليف فى صد الهجوم بل أذهلتها المفاجأة وأخذت القوات المصرية تواصل اقتحامها للنقاط الحصينة للعدو بالمدافع الرشاشة والقنابل اليدوية وتحررها وتقوم برفع الأعلام المصرية عليها وخلال ذلك تمكن سلاح المهندسين من بناء الجسور التى عبرت عليها الدبابات، وتحركت القوات البحرية لضرب اهداف العدو البحرية على شواطئ البحرين الأحمر والمتوسط، وبدأت القوات المصرية فى تعميق وتوسيع وضم رءوس الكبارى حتى تزايد عدد الجنود العابرين للقناة إلى اكثر من خمسين ألف مقاتل . وقد نجحت مظلة صواريخ الدفاع الجوى فى صد هجمات العدو الجوية ، كما فشلت هجمات العدو المضادة لوقف زحف القوات المصرية^(٢)، مما افقد العدو المتغطرس توازنه ، وزاد من إرباكه وأعاد للأمة الجريحة شرفها بعد أن سيطرت القوات المصرية على الجانب الشرقى للقناة ، ونجحت فى عبور سيناء وخلال ذلك ازداد تماسك الجبهة الداخلية ، واستمرت فى العمل لزيادة الانتاج واستعدت لتقبل التضحيات مما كان له أكبر الأثر على حفز طاقات المقاتلين . وخلال ذلك استخدم العرب سلاح البترول بفاعلية لأول مرة مما نقل القضية من الجمود إلى الحركة السريعة ، وجعل العرب يستردون ثقتهم فى أنفسهم ويستعيدون كبرياءهم . ونتيجة لذلك عقد مجلس الأمن دورة طارئة فى الثامن من أكتوبر لمناقشة الموقف حتى صدر (القرار ٣٣٨) فى الثانى والعشرين من أكتوبر ١٩٧٣ والذى تضمن وقف القتال ، ودعوة الأطراف المعنية إلى بدء المفاوضات فوراً بهدف إقامة سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط.

وفى النهاية يمكن القول أن الانجاز الضخم الذى حققته القوات المسلحة المصرية باحتيازها اصعب مانع مائى ، وتحطيمها خط بارليف لسوف يظل على امتداد الأجيال القادمة موضع فخر

(١) الاهرام فى ١٩٧٣/١١/١٨ حديث للفريق أول احمد اسماعيل.

(٢) موسى صبرى : وثائق حرب اكتوبر ، القاهرة ، المكتب المصرى الحديث ، ص ٥٤٨.

واعتراز وتقدير لأنها عكست وبحق إرادة وتصميم المقاتل المصري، وأثبتت قدرته على استخدام الأسلحة الحديثة بمقدره ومهارة هذا إلى جانب ان حرب أكتوبر اثبتت فشل نظرية الأمن الاسرائيلي وأسطورة اسرائيل التي لا تقهر، وجعلت الاسرائيليين يدركون ان الحدود الآمنة قد لا تضمن بالضرورة امنهم. وهكذا كان نصر أكتوبر أكبر انتصار حربي بالمقاييس العسكرية ونتيجة لذلك نشطت فعاليات هيئة الأمم المتحدة فدعت الأطراف المعنية إلى حضور مؤتمر دولي بمشاركة الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي واختيرت مدينة "جنيف" السويسرية كمقر لانعقاد المؤتمر، وخلال ذلك اعربت مصر عن استعدادها لتنفيذ كل الالتزامات المترتبة على قرار مجلس الأمن رقم (٢٤٢).

ونتيجة لاختلاف وجهات نظر بعض الأطراف العربية حول السلام وانعدام الثقة المتبادلة بين أطراف الصراع قام الرئيس السادات بزيارة القدس في التاسع عشر من نوفمبر ١٩٧٧ بهدف تحريك مساعي السلام وإثبات رغبة مصر في تحقيقه أمام الرأي العام العالمي^(١)، ونقل التلفزيون المصري على الهواء مباشرة وقائع هذه الزيارة وفي غضون ذلك استمرت الجهود الدولية من أجل تنشيط عملية السلام حتى انعقد مؤتمر "كامب ديفيد" في سبتمبر ١٩٧٨ و صدر عنه وثيقتان سميت الأولى "إطار السلام في الشرق الأوسط" وسميت الثانية "إطار لابرام معاهدة سلام بين مصر واسرائيل" مما أثار ردود فعل واسعة النطاق وبدأت منطقة الشرق الأوسط تدخل في منعطف جديد، وقد ثبت أن السادات كان سابقا لعصره وان قضية السلام كانت هدفا لم ينجح من كانوا يعارضونه وقتها ان يحققوه حتى الآن بالمزايا التي كان السادات يبغى في تحقيقها، وان من عارضوه قبلوا الآن باقل مما عرضه السادات وقتها.^(٢)

وهكذا كانت مصر صاحبة الدور الأول والمسئولية الكاملة في القضية الفلسطينية لاعتبارات عديدة منها الجغرافيا والتاريخ والحجم والمكانة وستظل أكبر بكثير ممن يحاولون النيل منها دون أن يقدموا شيئا مفيدا للشعب الفلسطيني وقضيته .

أن أمن فلسطين واستقرار أهلها وإنشاء دولة مستقلة لهم يعد جزءا لا يتجزأ من أمن مصر القومي، كما أن مصر حكومة وشعبا ترحب بالأهداف الواقعية للشعب الفلسطيني كما انها تمارس منذ بداية القضية التضامن مع هذا الشعب ومع ممثليه الشرعيين، ولم تستجب للمحاولات التي تطالب باعادة النظر في شرعيه منظمة التحرير بدلا من العمل على إصلاح أمورها وانها ترفض استغلال البعض للاحباط الفلسطيني بعد إحداث غزة وتحويل القضية للمقايضة والمساومة

(١) الجميعی : مرجع سابق، ص ٣١٣.

(٢) محمود فوزی : السادات المفترى عليه، القاهرة، دار النشر هاتيه، ص ٤.

والمتاجرة بها، وإلى محاولات توريث مصر، ودفعها إلى خوض مغامرة غير محسوبة أو غير مأمونة العواقب كما حدث عام ١٩٦٧ عندما هبت مصر لمساندة سورية ضد الحشود الاسرائيلية على حدودها مما هيا لاسرائيل الأسباب والمبررات التي استندت إليها في اتخاذ قرار الحرب متهمة مصر بخرق القانون الدولي . فالقيادة المصرية لا تأبه بالشعارات التي تستخف بأرواح الشهداء، وتتاجر بدماء الجرحى ومعاناة المدنيين ولا تخضع أبداً للابتزاز ولا تسمح باستدراج مصر لعواقب غير محسوبة خاصة وأن المزايدين وأصحاب الحناجر العالية يقفون دائماً في أماكن المتفرجين ويريدون من مصر دخول الحرب إلى آخر جندي مصرى.

لقد أوضح الرئيس مبارك بحكم مسؤوليته كرئيس للجمهورية مسئولية مصر في مواصلة الجهود لتحقيق الوفاق الوطنى بين الفلسطينيين وتثبيت وقف اطلاق النار فى غزة، واستضافة المؤتمر الدولى لاعادة إعمار غزة ودعم الشعب الفلسطينى، إلا أن الأولوية ستظل أولاً وأبداً لمصر وفوق كل اعتبار ، وان مصر تلتزم بالسلام وتحرص عليه طالما بادلنا اسرائيل الالتزام بالالتزام ويبقى أبناء قواتنا المسلحة مستعدين لرد الصاع صاعين إن وقع عدوان على أرضنا أو تم المساس بسيادتنا أو بمصالح الوطن العليا.

إن الأمن القومى لمصر يرتبط بأمن الشعب الفلسطينى، والقضية الفلسطينية لا زالت حية فى قلب مصر شعباً وقيادة على نحو ما أوضحه التفاعل الرسمى والشعبى مع مأساة غزة التى هزت القلوب ، كما أن مصر تعمل على تجاوز الانقسام الفلسطينى بين فتح وحماس فى أسرع وقت لأن استمراره يهدد كيان القضية الفلسطينية بأكملها، كما أن جهودها لم تتوقف فى هذا الاتجاه ولكن الأمر يحتاج من الجميع إلى المرونة، لذلك تعمل مصر على جمع الشمل من هنا حدثت العديد من الاجتماعات فى القاهرة بين قادة الفصائل لتحقيق اختراق حقيقى يتوج الجهود ان تتابعها مصر، ويعيد مفاوضات السلام حول قضايا الوضع النهائى إلى مسارها وصولاً لاقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وفق تسوية للسلام العادل فى إطار مبادرة السلام العربية والشرعية الدولية ، وقرارات الأمم المتحدة وأسس ومبادئ السلام التى تم وضعها فى مدريد ، وفى مقدمتها مبدأ الأرض مقابل السلام.^(١)

د. عبد المنعم الجميلى

(١) حديث الرئيس مبارك فى حوار له لمجلة الشرطة عدد فبراير ٢٠٠٩، ص ٣-٨.